

تراث الإنسانية

NYROUF

البستان



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

محمد خليفة التونسي

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤



البيستان

لسعدى الشيرازى

NYROUF

محمد خليفة التونسي

NYROUF

ن.ت.س.ب.ا

البستان
لسعدى الشيرازى
محمد خليفة التونسى



مهرجان القراءة للجميع ٩٤

(مكتبة الأسرة)

تراث الإنسانية

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة (مبنى الكتاب)

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الانتاج الطباعى والفنى

محمود الهندى

مراد نسيم

احمد صليحة

المشرف العام

د . سمير سرحان

بسم الله الرحمن الرحيم

اولا - المؤلف : عاله او عواله :

عالم مضطرب كتشعر الزنج ، هكذا وصف لنا صديقنا سعدى في كهولته عالمه الذى اكتشفه حيث عاش من بلاد الاسلام وجيرانها فى القرن الهجرى السابع ، وقد ولد سعدى حوله مطلع ، وعمر حتى أدرك عقده الأخير .

ولقد صديق سعدى فيما أراد ، وكان أصدق وأبرع فيما لم يرد ، فوصفه يمثل ذلك العالم حوله ، بل يمثله ويمثل شعوره به معا ، ولكنه أصدق وأبرع تمثيلا لسعدى فى شخصيته وحياته جميعا ، فقد كانت المحنة التى تنفزع بها سريره خلال عمره الطويل - أشد من الفتن الحياشة حوله ، وأعصى على التراز والانتظام ، حتى بعد كل ما بذل هذا المحامد الحصار من حوله وجيله كى تسكن أشجانته فيسكن . وقد شقى ببحن العظيمة فى نفسه أشد مما شقى

بفتن الدنيا المحيطة به ، وعاش هذا الانسان العظيم
المسكين - مع صلاته - شخصية قلقة موزعة الاهواء ،
في عالم يتنزى بالقلق وتهافت للضياع ، كانا غفلت عنه
العناية فتولت امره ابنة الفوضى ، وغرقت بين ناميه
العداوة والبغضاء ، فاستغر جثونهم بالفتك وتهافتهم على
الفساد أشد من ضوازي الوحوش .

وننظر حيث نتابع سعدى فيما اكتنفه من أحوال يعيشه
وعصره . أو فيما ركبت عليه شخصيته ، أو جرت عليه
حياته - فلا يبدو لنا الا « عالم مضطرب كسعر الزنج » .

لم يقاس العالم الاسلامي طوال تاريخه ما قاسى في
القرن الهجري السابع من شدائد وأحوال شهدها سعدى .
ففى خلال هذا القرن امتدت الفتن العنصرية والدينية
والمنهجية ، والفتن التي أثارها المغامرون من طلاب الملك
والسيادة والثراء في العالم الاسلامي ، وكل هذه الفتن
كانت قد نجحت قبل ذلك بقرون ، فمزقت أواصر المسلمين
وأوهنت بانسهم ، وخلال هذا القرن امتدت الحركات
الصليبية وكانت قد نجحت قبل ذلك بأكثر من قرن ،
ولكن العالم الاسلامي يومئذ فوجئ فوق تلك الفتن الجائحة
بما هو أدهى وأبعد أثرا : فجأته فتن الغزو التتاري الذي
مزع أعماق كل مملكة في آسيا وشرقي أوروبا ، واكتسح
أقوى الممالك الاسلامية الآسيوية ، حتى بدأ الاسلام في
آخر القرن الهجري السابع كأنه يحتضر ، زاهقا بين ضغط

الصليبيين غربا والتتار شرقا ، وهذا مع عذابه بفتن أهله .
فقد تلت ذلك البلاء جرائره من قحط ووباء ، وقتل عشرات
الملايين ، وتخريب مئات القرى والمدن ، وكانت جناية
هذه الفتن على العقول والأخلاق والأذواق أشنع من جنايتها
على الدماء والأرزاق .

هذا هو العالم الذي عاش سعدى واكتوى بأحواله
« مضطرب كسعر الزنج » ولكن أحوال نفسه كانت أقوى
وأعزى .

ولد مشرف بن مصلح (وهذا اسم سعدى) في مدينة
شيراز عاصمة إمارة فارس ، ومن هنا نسبته الشيرازي
كبيرا ، والفارسي نادرا ، وكانت أسرة أبيه كاسرة أمه من
شيوخ الدين والعلم ، فنشأ مثلهم ، وتعلم دروسه الأولى
على يد أبيه وأمثاله من شيوخ شيراز ، وذاق مرارة اليتم
في صباه فلم تفارقه قط ، وقد أشار إليها في بيت شعر
من ديوانه « البستان » الذي ألفه كهلا فقال :

« أواني ببأس الشامي خبيرا
أبي مات عني طفلا صغيرا »

وكان أيام قبل ذلك في خدمة الأتابك سعد بن زكي
الساغري أمير فارس ، فأبت عروسة الأمير الا كقالة اليتميم .
فأرسلته على نفقته الى بغداد ليتم دروسه في مدونتها
« النظمية » الكبرى على شيوخها الأجلاء ، فأنز صاحبنا

منهم أهل التصوف ، وقد ذكر منهم شيخين : أحدهما
شهاب الدين السهروردي (٥٣٩ - ٦٣٢) وثانيهما
أبو المحاسن بن العلامة أبي الفرج بن الجوزي (٥٨٠ -
٦٥٦) وبعد اتمام دراسته عاد إلى شيراز فترة ، ثم تركها
بعد قليل ليستأنف مرحلة السياحة بعد مرحلة التعليم .

ترك فارس كلها سنة ٦٢٢ لاضطراب أحوالها وأحواله
عند وفاة أميرها سعد يومئذ - ويظهر أن أم سعد ماتت
قبل رحيله - ومضى يتقلب في مطارح البلاد نحو ثلاثين
سنة . زار فيها العراق والحجاز والشام وآسيا الصغرى
وشمال إفريقيا غربا ، كما زار بلندا أخرى منها الهند
وإيران وخراسان وتركستان وما وراء نهر جيحون شرقا ،
وخلال رحلاته اتخذ زى الدراويش السائح ، وعرف واعظا
وشاعرا ، ومع مسرورة شعراء في العالم الإسلامي
- ولا سيما المشرق - ذاع صيته بأشهر أعلامه ، سعدى ،
وغيره ، تخلصه ، أو « عاتيه القلمي her name

وقد اتخذ هذا ، التخلص ، اعترافا منه بفضل كافله الأمير
سعد بن زكي عليه وعلى أسرته قبله . وقد حمل السيف
للجهاد مرتين أحدهما في الهند ، وأخرى قبلها في الشام
سنة ٦٢٧ لقتال الصليبيين ، فوقع أسيرا في أيدي الفرنجة
حيث اغتصده صديق شامي بعشرة دنانير ، وزوجه ابنته
وأمرها عنه بمائة دينار ، كما تزوج أخرى في اليمن ،
ولا يعرف له من الذرية غير وليد مات طفلا قرناه ، وعاد

إلى شيراز سنة ٦٥٤ بعد أن تقدمت به سنه . ويعودته
تمت المرحلة الشبانية من مراحل حياته وهي مرحلة
السياحة .

واستأنف المرحلة الثالثة والأخيرة بالاستقرار في
موطنه لم يفارقه غير مرات عاود فيها الحج إلى مكة ، وقضى
في شيراز بقية عمره ، يروض أشجان نفسه بالمجاهدة
والعبادة والتأليف ووعظ الأمراء والرعية ، وبالشفاة
للعمامة عند الحكام والاعيان الذين كانوا يرفرونه . فيقبلون
شفاعته . وكذلك كانوا يعطونه ما يرفضه حينما أو يقبله
حينما ليسوزعه على الفقراء . وقد أهدى كثيرا من تواليغه
الأخيرة إلى حكام فارس من الأتابكة السلجوقيين الذين كانوا
حياته . كما أهدى بعضها إلى غيرهم بين مسلمين ووثنيين
من كان التنازع يرسلونهم لحكم فارس بعد خضوعها لهم
وسقوط السلجوقيين ، ولم تسكن أشجان القلب في نفس
هذا الإنسان العظيم المسكين إلا يسكون آخر أنفاسه هناك
سنة ٦٩١ . فدفن في زاوية ذات بستان ، كان قد عمرها
في أحد أطراف شيراز . وتلك مراحل حياته الثلاث كما
قسما الدكتور آية وتبعه المؤرخ الكبير يراون ، وقد
جاريناه في تقسيمها وإن خالفناه في حدودها . وتاملها
فاذا هي « عالم مضطرب كشعر الزنج » .

والمتتبع لحياة سعدى ومؤلفاته يعطف وبصيرة يجد أن
نفسه كانت جياشة بالوان شتى من الأهواء الحائرة ملكته

ولم يملكها ، وكان الخبر في ذلك ، وهي ممتزجة متحدة في أعماقه ، ولكنها موزعة متميزة في نزعاته التي تنفس عنها ، وأهمها أربعة أهواء ، تفتح بالإشارة إليها للكشف عن جوانب شخصيته وملامح عبقريته وجيلة حيساته الباطنية ، ونسبك لضيق المقام عن تفسيرها والتليل عليها من أعماله وأقواله .

وأول أهوائه هوى « التنقل » وتقصد به أوسع من السباحة بين البلاد ، فهو يشملها كما يشمل التنقل بين الخلفاء وأحوال الحياة ، لاستشاف علاقات جديدة بهم وبها . ولزعت السباحة بين الأمكنة ، واللون الثاني هو الهوى الفني وهو ظاهر في تواليفه وكثير من أعماله ، فهو يعانى ما يعانى كل فنان من حيرة نفسه وعالمه ، حين تجيش مواجد سريره ، فينتقل خياله لتبصير المثل والرموز من داخله أو خارجه ، ويفرغ معانيه وعواطفه في قولها ويخسفها صورا ، وأكبر حظ سعدى هنا خيال يبدى في الأنشواط القصصار فيحسن التدبيق ، ولا ينطلق في الأنشواط الكبار لابتداع الصور الكبيرة المركبة في التكوين ، وقد أوتى مزيتين كبيرتين : ادراك الجمال البسيط ولقانة المعاني الرفيعة ، كما جمعت معظم آثاره فضيلتين تشيعان في حكم القدماء : البساطة والعمق . وله فوقها حلوة الأداء ورشاقته أو رشقه .

واللون الثالث هو الهوى الصوفي وذلك واضح في مؤلفاته وضوحه في أخبار حياته عند طفولته حتى وفاته .

ولكن صوفيته عملية لا نظرية فهو طالب فضيلة أكثر مما هو طالب معرفة .

والهوى الرابع عنده هو الإصلاح في سلكه الخيرة ، ويظهر أن هذا الهوى من مآثورات الأسرة أو موروثاتها كما يدل اسم أبيه « مصلح » وهذا الهوى جلي الملامح في كل مساعيه وأعماله وأقواله ، فما عمل قط بعد رشده لا تقاذ روحه وحده ، بل عمل على اتقاذ أرواح الآخرين ، ولم يعد غبطة للذرة أكبر من سعادته باستعاد غيره ، وهو صاحب الكلمة التي اتخذتها عصبة الأمم شعارها بعد الحرب العالمية الأولى « بنو آدم جسد واحد ، من عنصر واحد ، فإذا تألم عضو أرق له سائر الأعضاء ، ومن لم يؤلمه ألم غيره فليس جديرا أن ينسب إلى آدم » .

وقد تبكت هذه الأهواء من فطرته فلم يعرف معها الراحة حتى حال الموت بينه وبين هذه الأهواء ، ونظّم نفسه حياة بأهوائها العارمة فإذا « عالم مضطرب كضجر الزنج » .

وأظهر أخلاقه السباحة ، كما أن أظهر مواهب فكرة سعة النظر والاستقلال بالرأى ، فخلص من منازعات غلبه بالتعالى عليها جميعا ، حتى اهتدى إلى لب الحقيقة التي تتصارع حول قشورها العصبية ، واحتضن كل المتصارعين بمعطف الأخوة ومواساتها ، ونادى بالأخوة الإنسانية وأخوة

الأحياء . وأعلن أن الحياة مع الفضيلة ، وأن ليها الاحسان .
وأن العبادة كلها لله في حسن النية والعمل لكل الأحياء .
حتى النملة إذا علقت ببتاع امرئ الى غير مكانها كان من
المروءة أن يردها الى موطنها مع سربها . بل نادى بالأخوة
الكونية فتشمل بسماحته كل شيء حتى الشيطان : تصوره
جميلا مفترى عليه من أعدائه . ورأى له نصيبا في مائدة
كرم الله يطليه بحقه في ولاء الله ، والكون عنده واحد .
والعالم مظهر كمال الله وجماله وملكوته . فالأشياء ببعانيها
لا بصورها . وكل الأشياء من الله واليه . والعالم كله وطن
الإنسان .

ولم يكن اسلام سعدى عقبة في طريقه الى هذه العقيدة
الانسانية الحيوية الكونية . بل كان عوناً له ، لأن الاسلام
دين رب العالمين الى الناس كافة . وهم فيه اخوة من أصل
واحد . لا يتفاضلون الا بالقوى . وكلهم راع ومستول عن
رعيته . والله رب كل شيء . وهو وحده الخالق الرازق
الديان . ورحمته وضعت كل شيء . ويكاد يكون من تحصيل
الحاصل أن تشير الى أن سعدى لم يقف عند حدود مذهبه
الذي نشأ عليه في وطنه الشيعي . ومن دلائل ذلك في
البيستان أنه تولى جميع الخلفاء الراشدين . ثم تولى في الله
كل خلقه .

ومعظم آرائه بذكرنا بأراء الفيلسوف اسبينوزا
(١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) . في الله والعالم والأخلاق والسياسة

والمعرفة . لكن سعدى يغني ويصور في شعره ونثره بالاجماع
الفني ما تفلسف اسبينوزا بتحليله واثباته بالتفصيل
المنطقي . كما تذكرنا آرائه في الأخلاق والسياسة بالفلسفة
الرواقية عندما بلغت طور تصحيحها بعد طور تأنيسها .
لولا أن الرواقية مادية وسعدى دؤبي . ونرجح لأسبانيا أنه
لم يطلع على مصادرها .

وقلنا تخلو نفس كبيرة من جانب فكاهة . وكانت نفس
سعدى - لأسباب تشكك عن بيانها - وافرة الحظ من ملكة
الفكاهة . إذ بلغت سماحة حد الظرف ككثير ممن قرأناهم
وعاشرناهم من النازعين الى التصوف . وكانت البكته عنده
عصا المربي الحكيم يتوكأ عليها ويشير بها أمام الصغار الى
تعاليمه . وقد يؤدب بها أو يداعب في فهم وعطف . والمآثور
من نكتته يدل على قسطته وألفته وبره وحلاوة روحه مع
عازقيه وبجاهليه معا . وحسيننا من نكتته مع عازقيه نكتته مع
زوجته الشامية . وقد قدمنا أن أباهما اقتداء من القرنية
بعشرة دنانير ثم زوجها منها . وأمرها عنه بمائة دينار . فلما
أسامت عشرته . ومئت بفضل أبيها عليه . وغيرته رقة حاله
أجابها . كيف أكون حيناً وقد اشترايتني أبوك بعشرة دنانير .
واشتريتنني أنت بمائة . فإليها قميص الكتاف . لو كان
المنطق يكتف امرأة أو يعقل لسانها بغيره أو حد . هذا هو
صديقنا سعدى الذي يعدونه أشهر شعراء الفرس واحد
أنبيائهم الثلاثة : سعدى في الغزل . والفردوسي في القصص .
والأنوري في القصص كما يقول دولتشاه .

في البستان الثاني - البستان
 من أحاط خبرا بالبستان لم يفقه من سمعي الا القليل
 الذي يشبه الإضافات أو الفضول ، الا ان يكون تكرارا لما في
 البستان ، وهذا ما ينبغي أن يراعى في التمييز بين آثار
 الفنانين وتفضيل بعضها على بعض ، ولهذا اخترنا البستان
 بين سائر مؤلفات سمعي (أو كلياته) وهي ثلاث وعشرون ،
 لأنه أعظمها ، وكبرها تمثيلا لنفسه وحياته وجملته ملكاته
 وأخلاقه ، وأصلته بربه وعالمه ، وعقيدته الانسانية الكونية
 التي انتهت اليها في الكهولة بعد جهاده سائحا مرثاضا
 مفكرا ، وبقي عليها مثيرا بها حتى وفاته . وسمعي - كما
 يبدو - الصق بشعورنا من كثيرين بين أحدث عظماء الفكر
 والإصلاح في عصرنا الحاضر الذي نتجه فيه الى غاية العالمية
 أو الكونية وغاية الفردية معا عن طريق واحد هو طريق
 الانسانية ، وسمعي من رواد هذا الطريق في الرعيل الأول
 حتى اليوم وما يليه ، وبانسانيته سيبقى جديدا على توالي
 العصور ما بقي انسان في الوجود ، وهو للصوقه بأنفسنا
 ولحبه ايماننا أهل منا للصداقة والمحبة ، كما أنه لعظمته
 الخيرة أهل منا للاعجاب والتوقير .

كان البستان (حديقة الفواكة) أول عمل كبير لسمعي
 بعد فراغه من رحلاته بين مطارح العالم نحو ثلاثين سنة ،
 وعودته الى شيراز سنة ٦٥٤ هـ ، وقد أنه سنة ٦٥٥ هـ ،

فأهداه - تقديرا وتشجيعا وإرشادا - الى الأتابك أبي بكر
 بن سعد أمير فارس من الأسرة السلفرية صاحبة الفضل
 على الشاعر وعلى أسرته قبله ، ولم تنقصه عزة الصوفية
 التي تعلو عزة الملوك وهو يقدمه اليه ٥٠ فجاهره في البستان
 بنصائح القوة ، وبصره بمسئوليته ، ونبهه الى أن اسمه
 سيذكر ما ذكر البستان قرين الشمس والقمر في السماء .
 ومن دواعي العجب بين السخرية أن يعمد كاتب الى
 ديوان شعري فيلخصه ، ولا سيما ديوان صوفي كالبستان ،
 يعتمده على الإيحاء في رموزه القصصية ، ولكن سرعان
 ما يزول العجب ، وتختفي شياطين السخرية ، حين نعرف
 أن البستان من الشعر التربوي أو الأخلاقي بخاصة ، سواء
 في نيتته ولغائه ، والفضيلة فيه أغلب على المعرفة ، فهو
 يشبه أن يكون بحثا ، وقد رتبته مؤلفه كما ترتب البحوث ،
 فبدأ بمقدمة وعشرة أبواب ، يجمع كل باب منها قصصا
 تنميه ، وتدور كل القصص في أي باب على فضيلة
 خاصة ، هي عنوان الباب وهذا حسب المؤلف من حسن
 التقسيم ، وإن كانت بعض القصص في باب لا تبدو غريبة
 لو وضعت في باب آخر ، وقد سرت البستان على
 القاري ، بقدر ما اتسع لي المقام للتيسير ، ومهدت له بصورة
 تلم بعالم صاحبه في أحوال مركز ، لتعني على تقريب
 الكتاب نفسه ، لأن الشاعر وشعره كالماء وتضجعه لا يدرك
 أحدهما بغير الآخر .

وأبيات البستان تروبو على أربعة آلاف بيت في القصص المنظومة . قسمت منظوماتها بين المقدمة والأبواب وفق مناسبتها لها . وأطول الأبواب أولها ، وهو « في العدل » وتروبو أبياته على خمس البستان ، وأقصر الأبواب آخرها وهو « في المناجاة » وأبيات الأبواب بين ذلك تتفاوت عددا . كما يختلف عدد الأبيات وتقسيمها منظومات أو قصصا ذات عنوانات - باختلاف نسخ الكتاب ، وأدناها إلى التمام نسخة « سودى البستوى » الذي شرح البستان بالفارسية . وهو يعد أفضل شرح له وأيسره بين الأتراك كما ذكر حاجي خليفة في فهرسه « كشف الظنون » . وقد نظم سعدى البستان بالفارسية ، ولاختجابتنا عن بلغة الأصل كان أعظم معولنا على الترجمة الانجليزية للاستاذ آ . هارت ادواردز ، وقد طبعت كثيرا وأنا أوازن بين الترجمة الانجليزية وترجمة البابين الأولين إلى العربية للدكتور الباحث محمد موسى هندواي ، ثم كتاب « سعدى الشيرازي » بالعربية للدكتور هندواي أيضا . وأنست كثيرا بتحليله البستان ، كما أنست بكتاب « قطوف من بستان السعدى » للأستاذ الموقر حامد عبد القادر و « تاريخ فارس الأدبي » A Literary History of Persia للمعلمة الكبير پروان وأنست بفهرصا من المصادر في العربية والانجليزية ، بل كنت آنس في النص الفارسي أحيانا بما فيه من الكلمات العربية ، أو الكلمات الفارسية التي تشابه الكلمات الانجليزية في الجذور .

وأبيات البستان من الشعر « المثنوى » مثل « الألفيات » وسائر المنظومات التعليمية في العربية ، حيث تتفق الفاقة بين شطري كل بيت ، وتجدد في البيت التالي لتسهيل إطالة النظم ، وكذلك الأبيات كلها من البحر المتقارب (فعولن ثمانى مرات) وهو وزن صالح للشعر القصصى Epic Poetry ويتكون البستان من منظومات ، والمنظومة فيه قد تطول فتروبو على مائة بيت ، أو تقصر فتكون بيتين ، وبعض قصص البستان من حياة سعدى أو من مسموعة أو ابتكاره . وشخص كل قصة في البستان مناسبة لقصتها مؤدية لمعناها ، سواء منها الشخصيات الانسانية أو الحيوانية أو الجمادية .

ووجهتنا في هذه « الخلاصة » تلخيص جملة المعاني في كل قسم على حدة ، مع الاستئناس بيسير من الصور التي تمثل للقارى ما خامر سريرة هذا الشاعر من المواجه ، مع نقل جمل وشذور موجزة كما هي ، ولا سيما مقدمة كل باب ، لأن هذه المقدمة أكثر تمثيلا لمعاني الباب وأدل على انحاء الباب كله ، وقد آثرنا نقل بعض النصوص خلال « الخلاصة » لنخفف حجابنا بين سعدى وقارئه ، فليسان المبين - كسعدى - أقدر على بيان مواجهه من لسان غيره ، وطريقتنا المفضلة في فهم انسان أن نسمع منه أكثر مما نسمع عنه ، فهو بنفسه أخضر ، وكلامه عنها أبصر ، ولو حاد عن الصواب أو قصر ، ساهيا كان أو عامدا ، وحائرا

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ، المتعم الذي ابدع العالم ، الحكيم الذي وهب الانسان البيان ، لا كرامة لمن حول وجهه عن يابه ، ملوك الأرض يخرون امامه خاشعين ، لا يعجل بالنقمة من عصاته ، ومن تاب غفر ذنبه ، الكونان مما قطرة في محيط علمه ، لا يغفل ذنوب عباده بل يسترها بحلمه ، بسط على وجه الأرض مائدة كرمه للأصدقاء والأعداء لينالوا منها على السواء ، ليس كمنته شيء ، ملكوته أبدى ، وضع تاجا على رأس بعض ، وانزل آخر عن عرشه الى الأرض ، من وراء الحجب يرى كل شيء ، وبكرمه يستتر كل الخطايا ، حتى الشيطان رأى مائدة كرمه فسأله نصيبه منها ، قريب من المتبذرين ، مجيب لدعاء المحزونين ، من لا ذا شيء ، خلق كل شيء ، من ذا الذي يستطيع كشف أسرار صفاته ؟ وأي عين تنفذ الى نطاق جماله ؟

٢ - لا تظن يا سعدى أن احدا يستغنى السير في طريق الطهر الا على آثار محمد ، فهو زعيم الأنبياء والهادى الى سبيل النجاة ، وشفيح البشر ، وعين الموقف يوم الدين ، باى مناقبك يستطيع سعدى أن يحيط بها النبى ؟ رحمة الله وسلامه عليك وعلى صحابتك أبى بكر المريد ، وغير هذا لشيخان المريد ، وعثمان المتجهد وعلى الفارس ، الهى ، بحق بنى فاطمة الا قحتحت لى بمقالة الايمان .

أو قاصدا ، ولا يفهم أثر فنى قبل الاتصال بصاحبه من خلال هذا الأثر ، ولا بد للقارىء أن يتقدم اليه خطوات ليلقاء فى وسط الطريق ، فيستشعر الأثر فى نفسه كما شعر به صاحبه ، ولا بد أن يتمثله مثل صاحبه ، ويراه من حيث رآه وكما رآه ، ليدرك ما قال وما لم يقل على السواء .

ويكاد يكون من تحصيل الحاصل أن نشير الى أن خلاصتنا لا تغنى فى تمثيل الديوان الا ما تغنى قبضة من الثمر والزهر عن ربيع النستان ، وإن أعين مجتئها فى الاختيار أشد امعان ، وبلغ من الخبرة بما لديه لمائة العرفان .

ثالثا : الخلاصة

مقدمة البستان

معانيها

تبدأ باسم الله وحده بما هو أهله ، ثم مدح النبى والخلفاء الراشدين ومناشدة الله حسن الختام بحق أبناء فاطمة ، ثم تبين سبب نظم الكتاب وأقسامه واهدائه الى الأتابك أبى بكر بن محمد أمير فارس ، مع مدح هذا الأمير وولى عهده .

٢ - حيث كثرا من الاقبايل ، وانفقت الايام في
صحبة كثير ، وجنيت المشعة والنفع في كل ركن ، وقطفت
السنايل من كل حصاد ، غير اني لم اجد كاهل شرايز
- على موطنهم نعمة الله - فروابطي بهم جذبت قلبي اليهم
من الشام وبلاد الترك على بعد ، واسفت ان اعود الى اصدقائي
من بستان العالم صفر اليد ، وتفكرت : « يعود السائحون
بسكر مصر هدية لأحبائهم وأنت لا تملك سكرا ، وعندك
كلمات أحلى منه ، وسكرك لا يطعم ، ولكن عارفي الحق
يقبضونه في احترام » . وحين شيدت صرح الثراء زينتته
بعشرة أبواب تربوية : أولها في العدل ، وثانيها في
الاحسان ، وثالثها في العشق ، ورابعها في التواضع ،
 وخامسها في الرضا ، وسادسها في القناعة ، وسابعها في
التربية ، وثامنها في الشكر ، وتاسعها في التوبة ،
وعاشرها - وهو ختام الكتاب - في المناجاة . وفي سنة
خمس وخمسين وستمائة من هجرة النبي حفل الكثر بجواهر
البلاغة . ان الكساء من حرير صيني يحتاج الى خشب من
قطن ، فاذا كنت من طلاب الحرير فلا تغضب . وكن كريما
بالصفح عن القطن ، فقد سمعت أن الله الرحيم يعفو يوم
الدين عن الخطاة من أجل الأبرار ، واذا وجدت خطأ في
كلمائي فكن كذلك ، واذا أغضبك بيت بين ألف بيت
نسرك فامسك عما تجد من ذلك . لا مراة ان توالي في

فارسي ليست الا كالمسك في أرض ختن (١) . سعدي يقدم
الورد الى البستان في شبطة ، وشعره كالتمر حلوا غلافه ،
فاذا فتحته ظهر صخره (٢) .

٤ - ومع رغبتى عن مدح الملوك دونت هذا الكتاب
باسم ملك خاص ، لعل الاتقياء يقولون : « سعدي الذي
فاق غيره في البلاغة قد عاش في عهد أبي بكر بن سعد ،
وانا فخور بعهده كما فخر النبي بولده في عهد أبو شيوان
العاقل » فما ولى بعد عمر كهذا الأمير في عدله وتقواه ،
فمن أراد ملجا من العوادي فلا ملجا له غير دولته ، انه
معتز بالله ، متواضع لخلقه ، قوة الضعيف ، وعدل المظلوم ،
وعون المحتاج . وبهذا الكتاب سيبقى مذكورا بقاء الشمس
والقدر في السموات . وابنه ولى التاج والعرش شباب
تفتح له الحظ واشرق القلب ، فتى في الهبة ، شيخ في
التدبير . خير ما أثمرت تلك الدوحة العلية ، فهو كآية
خلى الدولة ، منصور على الأعداء ، وقاهها الله السوء .

(١) مقالة مشهورة بكثرة المسك وجودته .
(٢) أى ظاهره حلوا لطيف ، كى يظن . وباطنه صلب شديد .

ليفيد ، وهكذا كل دعوة الى الاستقامة ومعصية الأهواء .

خصص سعدى هذا الباب بالأمراء وأمثالهم من الحكام وهو على طريقة المربين ضرب لهم المثل بين سيفوهم من الحكام الأخيار والأشرار ووضح عقبي هؤلاء وهؤلاء ، وقد يستلزم خلال قصصه ، بتصالح مباشرة أو غير مباشرة معهم بها ، أو يخص الأتابك أبا بكر الذي أهدى إليه الكتاب ، أو يمدحه على حسن سياسته ، أو يدعو له بخير . وقد حدد للأمير خطته بمواظبته ومن حولهم : فحدد له سياسته الواجبة مع نفسه وزعيته والوافدين عليه ، وسياسته مع عدائه وجيشه وجيران دولته في السلم والحرب ، والزمة في السياسة رضا الأمة عنه ، ومسئولية أكبر وأثقل هي رضا الله - فقد يزغى أمته بالخداع ، ولكنه لا يرضى الله عالم اشتراكي إلا بالاخلاص ، فإذا فرغ من حساب الأمة بسلام ، بقى أمامه حساب الله ، وأعلى سلا ، أعظم ، ولا مقر منه .

والأمير الأمثل عند سعدى هو عمر بن الخطاب مضرب المثل في العدل والقوة واللين ، والاحاطة بصالح الرعية ، وبذل أقصى الجهد في حياتها ومرضاها ومشورتها ، دون غفلة لحظة عن حساب الله مهما تبدل في خدمتها ، ومن شعوره الكامل ببعائه كلها ينظم شعوره بالتقصير ،

فلا يبطر ولا يتجبر ، ولا يفتن ولا يتكبر ، ولا يمن بفضل ، لأن الله وحده مصدر الخير فهو المنعم على خلقه بما شاء كرمه .

الحكم بلا للحاكم والمحكومين ، فينبغي للأمر أن يبقى الله في كل نية وعمل ، موقنا أنه أمام الله كسائر عباده ، لا يميزه منهم إلا كبر حظه من التبعة ، فليضرب إليه في حجة المتساكين ، ويستمد منه العون في كل مسعى ، لأنه بغيره ضعيف ، ينبغي ألا يفار من سابقه إلى الحكم ، بل يظهر فضلهم ويحفظ لهم تراثهم ، فهو ذاهب كما ذهبوا ، ولن يبقى له غير حسن ثوابه عند الله ، وحسن أثره بين الناس ، ولا يقدم العنف على المشورة والرضا ، والا كان جبارا بغيضا ، ولا يسرع بالعقوبة في موطن ولا سيما حيث لا يترك الفوت ، وأن يحيط بخفايا دولته وجيرانها ، فالراعي الناصح لا يتام ويطعانه ساهرة تنهشها الذئاب ، ولكنه إذا سهر ونفى عنها أعداءها نامت مستريحة سعيدة به ، ول يقدم راحة الرعية على راحته ، ولا يتنحى عن خدمتهم ولو للتسكك والعبادة فخدمتهم أفضل من كل عبادة ، وهم مصدر القوة والخير ، فهو شجرة وهم جذورها ، ولا حياة لشجرة دون جذورها ، وكل جذر يقطع أو يجرح يضعفها ، وينبغي أن يعطى الأمير كل ذي حق حقه لا يخشى فيه لائمة ، فهو ملجأ الشاكين ، والشاكي لا يقصده حتى يثق بحمايته وعدله ، وللحسين مكافأته ليستسبق الناس الخبرات ، كما للمسي جزاؤه

ليرتدعوا عن الاسائة ، ولكن على ألا تفرغ العقوبة الناس
فتقسدهم ، فلتكن المزاخذة على قدر الاسائة ، ولا يجعل
بها قبل الثقة من وقوع الاسائة وضربها ، وليلتبس للنسي
أعداره ، فيعفو عنه بعدوه أو توبته أو تسخ ذنبه ، وإذا
لم ينفع فيه ذلك أزم سجنه ، وإذا ثبت أنه شرير نكل
به ، ولو كما تجتث الشجرة الخبيثة ، وإذا حرك الغريب
فنتنه ، الدولة نفى عنها ، ولكن لا إلى غير بلده ، والعفو
عن الضعفاء أجدر ، وسد حاجة سائل أفضل من فك الشا
رقية ، والظلم رأس الشر ، فكل مكان تمتد إليه يد ظالم
لا تتفتح فيه الشفاة لابتسام .

والما للامة خراجها يتفق في مصالحها بإقامة العدل
والأمن بينها ، وحراستها من أعدائها ، وتهئية مرافقتها
العامة ، وليس للأمير إلا لزقة بقدر ما يحفظه كأوساط
رعيته ، لا لارضاء أهوائه الخاصة ، وعليه ألا يجبي من
خراج في أمة إلا بقدر ما يلزم لكفالة مصالحها ، وأن يحث
التجار القريباء بروحه ، فهم يروجون السلع بين دولته
وغيرها ، وهم الألسنة بين الأمم ، فإذا حوسنوا تشروا الشفاء
عليه وعلى دولته ، فكثر الوافدون عليها ، فراجت التجارة
واتسعت الأعمال ودرت الأرزاق ، وإذا أسبثوا شنعوا به
وبدولته ، فكسدت الأسواق وبارت الأعمال والأرزاق .

وعلى الأمير أن يختار عماله من ذوي الأمانة والكفاية
بين أهل الرأي والتجربة والحسب والقوة ، فهم أعوانه
الذين تعمّر بهم الدولة ، فإذا أحسن اختيارهم كان عديم

رضا الله وعصا الرعية ، وإذا أساء اختيارهم أفسدوا
وكان همهم تحليقه ، وأسرفوا في امتصاص دماء الخلق ،
وهتك حرمانهم ، من أجل أهواء أنفسهم وأهوائه ، وليحذر
تولية السفلة ، فالمفلس من الحسب لا يخشى حاكمه مهما
يرعبه ، ولا تجديه طاعته غير الاسائة ، وعليه أن يرصد
على ولاته رقباء أمانا عسلا مع الحذر من اجتماع الوالي
والرقيب عليه ، وليكن لكل مهمة عامل واحد متفعا للأعمال
والخيانة ، وهذا مع استمرار الرقابة ، فالقافلة في أمان
طالما حذر اللصوص بعضهم بعضا ، ومن عزل لتقصيره نظر
في أمره بعد أجل لاستصلاحه ، ولا يجوز سماع الوشاية
بعامل دون بينة ، كما لا بد من مداومة الاحسان إلى العامل
الحسن بعد تركه الخدمة .

ولا بد للأمير من رعاية جيشه في السلم ، فجنده عدته
في الشدة ، وإذا لم يكرم الجندي في السلم لم يرخص
نفسه في المعركة ، ولا بد من أن يختارهم ويجربهم للتحصن
بهم من العدو ، وأن يكسبهم بالمال والمودة ، فلا فلاح لأمانة
بغير رعاية المحاربين وأهل الرأي ، ومن الحكمة دفع العدو
بالسياسة والمحاسنة قبل استعمال القوة ، فإن خاب الرأي
حققت القوة ، ولا بد في الحرب من التعويل على الشجعان
فلا يغلب الأسد إلا أسد ، ويستشار أهل الحكمة والتجربة
من الشيوخ ، فهم أنفذ في الحرب من الشبان الضاربين
بالسيوف ، ولا يعمد بالأمور الجسيمة إلى الأحداث ،
ولا بالحرب لغير أهلها ، ويبعد عنها المترفون ، وإذا تمرد

جندی علی قائمه قتل ، اذ لا خير فيه لاميره ، كما يقتل
الهابرب من المعركة ان لم يقتله عدوه ، فالهابرب لا يضع
نفسه فحسب ، بل يسعى الى الجيش وأبطاله جميعا .
وأقوى ما يؤلف بين الجند توحيدهم في الجنس والمعيشة
واللفة . وحذر العدو عند المشاركة واجب كحذره عند القتال .
والبيات أولى بالحذر ، فيمكن الجند على تعبته عند النوم .
كما هم في البقعة نهادا . ولا آسان للامير اذا وقع بين
عدوين ولو كانا متباغضين ، فاذا اتفقا وجب المكر بأحدهما
لإسكاته ، والقضاء على الآخر . واذا لح عدو في خصام
وجب سجنه ومخالفة خصمه . واذا وقع الخلاف في جيش
عدو كان ذلك راحة منه ، ولابد من المحافظة خفية على
الرجعة الى الصلح مع اظهار الاصرار على الحرب . واذا أمر
الامير قائد العدو حلت الأمانة معه ، فابقاؤه عليه أدل على
الفصل ، وأكرم من القتل . وأولى أن يحمل العدو المحارب
على المعاملة بالمثل ، فيكتفى بأمر من يقع في يده . واذا
فتح الأمير بلدا اكتفى بأمر صاحبه ، وعفا عن رعيته ،
وأوسعهم عدلا ورخاء ، حتى ينتزع من قلوبهم كل ولاه
لصاحبه بالأمس ، ولا فلاح بغير حفظ الشر في السلم
والحرب ، فقد يكون بين الأصحاب جواسيس للعدو ، حتى
وجهة الجيش لابد من كتمانها بالتوبة ، فقد أظهر الاسكندر
أنه يقصد الغرب حين حزم الزحف الى الشرق .

سعدى صوفى على ، فليباب الدين عنده العمل الصالح
مع نية الخير ، ولهذا تجده يعد الاحسان مع الاخلاص ،
أفضل من الصلاة والصوم مع الطمع والشح والعدوان .
والاحسان عنده آية الصلاح الانساني وشرته ، وهو حق
لكل الأحياء من الناس والحيوان ، وهو أوجب لمن هم أحوج
إليه ولا سيما طالبيه ، ومنهم البتاسي والفقراء والمعززة
والمدنيون وأبناء السبيل وعامة الجيران وهم أقرب .
كيف تطيب لك قبيلات ولدك ، واليتيم بجانبك يمي
ولا من يحتضنه أو يحفف دموعه ؟ ان جنبا العرش لتتهنز
ليكاته ، وكيف تسعد بنعمتك وأصحاب الحاجات حولك
يتلوون من الشفقة ؟ . ينبغي ألا تقبض يد الاحسان عن
أحد لعصيانه الله أو كفره به ، فالله يحتل في ملكوته
العصاة والكفار . وللبهوان حقه فلا يضره أو يتخلل عن
تجده الا قاس طلوم . وليس من المروءة إزعاجه ولو بنفيه
عن قطيعه ، فمن علفت به تيلة الى غير موطنها حق عليه
أن يردها الى سربها في موطنها . والاحسان أقوى دافع الى
تأليف القلوب ، وأكبر مظهر لها من الرذائل ، وقد يخضع
الاحسان من العدو ما لا يخضعه السيف ، ويربط الحيوان
الى صاحبه أشد مما تربطه سلاسله . فاذا زاد الاحسان
الشرير شرا حتى الأمسالك عنه . وليس يعد من احسان

المرة الا ما يمد به يده ، لا احسان أهله عنه . ولا مروءة
 من لا يعمل من أجل الرزق ويحسن القيام عليه . ويفسر
 من السعة للضييق ، حتى يكفى نفسه وأهله ذل السؤال ،
 ويبدل الفضل للمحتاجين ، وليس يأكل من كد غيره الا
 مختار . والنية قبل العمل في كل احسان ، فالبدل للمرأة
 رذيلة تحبط أثره .

من مقدمات الباب

إذا كنت عاقلا فاقصد الى جوهر الحق ، فهو دائم
 والقشور فانية ، ومن ليس ذا معرفة ولا كرم ولا تقوى
 فليس انسانا الا بصورته . انما يتم في سلام تحت
 التراب من بث العثمانيّة في القلوب . افق ذهبك ومتاعك
 فالرياح ستذهب به من قبضتك ، افتح باب كنزك الآن
 فلم يكن المفتاح غدا في يديك . وإذا شئت اتقاء الألم
 يوم القيامة فلا تنس المتألمين حولك . لا ترد الفقير عن بابك
 صفر اليد ، خشية أن تدور غدا على أبواب الغريباء . وتسد
 حاجة غيرك خشية أن تحتاج غدا الى عون الآخرين . أو
 لست تبتهل الى معبودك ؟ . فلتكن اذن كريما ، ولا تلو
 وجهك عن يتهلون اليك .

قصة في فعل الخير مع الأشرار

قالت امرأة لزوجها « لا تشتري الخبز من الخباز الذي
 في شارعنا بل من السوق ، فانه يريك القمح ويبيع لك

الخبز » . ولا عملاء له غير أسراب الذباب . فاجابها :
 « يا نور حياتي ، لا تعينى تحيله ، فما أقام هنا الا أملا
 في معاملتنا ، وليس في المروءة أن نخيب أهله فيما » .
 أسلك سبيل أهل الحق . وإذا نهضت على رجلك فمد يديك
 الى العائدين .

الباب الثالث - في العشق

معاني الباب

هنا يكشف سعدى جانباً من أعبق جوانب نفسه
 وعقيدته ، كما يكشف كثيرا من آرائه في الله والمعرفة
 والوجود والقيم ، فيلتقي كثيرا بالفيلسوف امينوزا امام
 القائلين في العصر الحديث بوحدة الوجود .

وهو يقسم الناس قسمين : أهل الصورة الواقفون
 من الأشياء عند الظواهر ، وأهل المعنى الواغسلون الى
 البواطن . الأولون تربطهم أموارهم بعروض الدنيا ، فهم
 عبيان مجربون عن الحقائق بزخارفها المبهجة ، مقيدون
 بجهالتهم في متاهات الأباطيل . والآخرون يحاولون قبح
 شهواتهم وتصفية نفوسهم - بالرياضة والمجاهدة واسعاد
 الخلق ، حتى ينجلي ليصائرهم لباب الحقيقة في أصلها ،
 ولا تزيدهم الصعوبات الا تهافتا على الجهاد اليه في عزيمة

وصير . ملا الله نفوسهم فهاؤوا في حبه شهداء لجسماله .
فهم في الله وبالله والله . يحدونه في كل شيء . وهذا سر
قوتهم وسلطانهم وأن طهروا ضعافا مساكين . وكل همهم
في الدنيا الرجوع الى الله فأن في الايمان به وخدمة خلقه
للاتصال به . والاتحاد معه بالمحبة . وليس هناك الا وجود
واحد حق هو الله . فالعالم الى جانبه صورة زائفة باطله .

من مقدمة الباب

سبعة أيام المقتولين بحب الله . سواء كانوا حزاني
لانفصالهم عنه . أو مقتبطين بوصالهم في حضرته . هم
صعاليك يفرون من سلطان الدنيا . وعلى أمل لقاءه يشربون
خمر العذاب . فذلك خير لهم وإن بقوا صامتين . وما في
الصبر عن تذكر الله خير . فسوسة الشجرة حلوة كثرتها
من يد الصديق . والأسرى في حبال حب الله لا يحسبون
عن مهرب . أنهم يعانون الملام ولكنهم في وحدة تأملاتهم
ملوك . وطريقهم مجهول . هم كالغراش يتهافون فيحرقون
أنفسهم في نار الحب . معشوقهم في صغورهم وهم مع
ذلك يبعون عنه . واليبنوع بقربهم وشغافهم تحرق ظمأ
اليه .

من حديث بالدبومة

حك يدك جزعا قائرا . وبهذا الاخلاص تصنع
راسك عند قدم حبيبك لتنسى العالم . وحين تهون الثروة

في عينك يستوى لديك الذهب والثراب . تقول أنه
ساكن في عينيك . وحين تغلقهما يكون في رأسك . وحين
يطلب حياتك تضعها في يديه . وحين يشهر سيفه على
رأسك تمد عنقك اليه . هكذا يورث الحب الأرضي هذه
الحرية . ويطلب هذه الطاعة . فهل تعجب للمساكين في
طريق الله حين يفرقون في محيط الحقيقة ؟ . انهم في
ذكرى حبيبهم يستدبرون العالم وهم سكارى بالساقى الذي
فتنهم فأهرقوا الخمر . لا دواء يشفيهم . فلا أحد يعرف
آلامهم . بصيحاتهم يقتلعون الجبال . ويتأوهاتهم يبددون
الممالك . ويكأهم ليلا يفسل من عيونهم رغبة النوم .
هم غرقى في بحار الحب ليل نهار . فهم في وهلم لا يميزون
بين ليل ونهار .

الباب الرابع - في التواضع

معاني الباب

لينظر المرء مم خلق . حتى يتطهر من الغرور والعجب
بما أوتي من سلطان أو مال أو جاه أو صحة أو جمال أو
ذرية . فكل ذلك من فضل الله عليه . لا ثمرة جهده فحسب .
وكل ذلك من متاع الدنيا وهو زائل . ولاحظ من الكرامة
لمتاعها إلا بما يهيى . للعمل الصالح . والدنيا ذات غير :
غرب جابط علا . ورب عال هبط . والحسنة والسيئة
محفوظة .

ولا يفتر التقي بتقواه ، أو يتعسالى على الخطاة .
فالتواضع من آيات التقوى وهي تنافي الجهل والخيلاء .
ولا يفتر العالم بعلمه ، ففروقه به آية فراغه وعقبه .
والعلم اذا خامر النفس هذبا . خلق الله البشر من اصل
هين ، فيواهم بقضله اعلى مكانة ، فالتواضع كان ولم يزل
طريقهم الى الرفعة . ومن داخله القورور مسخه فاذله .
وكلمنا زاد فضل الله على امرى . كان تواضعه أجدر والزم .
ومن التفتش اذراء الضعاف والجهلاء والمساكين ، ومن الحماية
الاستهانة بالعصاة ، فياب الرحمة مفتوح دائما امام كل
تائب ، والخوانم غيب ، ورحمة الله تسع كل شيء . وآية
المروءة السماحة ، فليبسط امرؤ كف عطفه للخلق جميعا .
فيبارك اقل فضلهم ويقبل عذرهم ويحتمل سيئهم .
ويتجاوز عن خطاياهم راضيا شاكرا لله . وليكن طالب حق
وحكمة حيث وجدها ، فرب جاهل أو غرير يصيب حيث
يخطئ . العالم أو المجرب . والله وحده مبدع الخلق وحافظهم
ومدبرهم كما اقتضت حكمته . ومن ورائهم عليه ، وهو
وحده الديان .

من مقدمة الباب

أنت - يا مخلوق الله - من التراب خلقت . فينبغي
أن تكون متواضعا كالتراب . لا تكن جشعا ولا طامعا
ولا صلب الرأس . انك من التراب ، فلا تكن كالنار :
عندما ترفع النار رأسها المخيف كبرياء ، يخفض التراب

رأسه تواضعا . ولهذا كانت النار متجبرة والتراب وديعا .
خلقت الشياطين من النار وخلق البشر من التراب .

قصة عمر والسائل

سمعت أن عمر في خلافته مر بمكان ضيق فوطئ
قدم سائل مسكين ، فعنقه السائل قائلا : « أو أنت أعمى ؟ »
فاجابه متعظا : « لست أعمى ، وقد آذيتك بلا علم
فسامحني . اذا اتيت حساب الله فاغفر خطايا من يخافك .
ولا تجحف برعيتك ايها الجبار ، فهناك جبروت فوق
جبروتك . »

الباب الخامس - في الرضا

معاني الباب

لم يؤت الانسان من العلم الا قليلا ، فرب محنة
يضيق بها وهي نعمة ، ونعمة يسر بها وهي نعمة . وليس
الانسان وحده في الوجود ولا هو حافظه ، ولا قدرة له على
تدبيره ، او فهم الحكمة من وراء تصاريفه ، فليؤمن برحمة
الله وحكمته ، وليسلم بقضائه وقدره . للانسان ارادته
وهي من ارادة الله ، وله قدرته وهي من قدرة الله ، والنتيجة
في الوجود على حسب القدرة والارادة . والانسان قابل
للترقى الى اعلى الدرجات ، ولكنه بجهاذه في حمى الله .

وكل شيء من الله واليه ونسبة شيء الى غيره مما يחדش
الايمان بأحدثه .

من مقدمة الباب

السعادة تأتي من فضيل الله لا من قوة الأقوياء . وإذا
لم يأت الخير به من عليلين لم يستطع القوة تخصيله .
ان النملة لا تشقى بضعتها . والنسر لا يأكل بفضل قوته .
وإذا عجزت اليد عن بلوغ السموات فلتقبل حظك الذي
يأتيك محتوما . وإذا قدر لحياتك أن تطول لم يقتلك
الثعبان ولا السيف . وإذا جاء يوم أجلك قتلك الترياق
أكثر من السم .

قصة الطبيب والقروي

لم يستطع قروي أن ينام ليلة لألم في جنبه ، ولما جاء
الطبيب قال لأمله : هذا الألم ناشئ عن أكله بعض ورق
العنب . وأما أعجب كيف عاش الليلة ، فإن سهام النثار
كانت خيرا له من تناول هذا الطعام العسير ، في تلك الليلة
مات الطبيب ، وبعدما بآربعين سنة كان الفلاح لم يزال
حيا .

الباب السادس - في القناعة

معاني الباب

طمع المرء فيما عند غيره من متاع الدنيا آية الجهل
والخسة ، وتهافته عليه خلقي أن يستعبده وينفر منه أقرب
الناس اليه . والسعادة ليست في الجاه أو السلطة أو المال
ونحوه من متاع الدنيا بل في القضييلة . وطريق القضييلة
كبح النفس والبدن عن الشهوات المذلة . وقد يكون الملوك
والأثرياء ونحوهم أكثر شقاء من المساكين . والنفس قابلة
للتأديب بالرياضة والمجاهدة حتى تنصرف الى ما هو أولى
بها وما هي أولى به . ومن قنع بيسيره سد حاجته فكلاه .
ومن مد أطماعه لم يكفه شيء : فكلما حاز مطلباً تفرغ الى
غيره . وإن لم يزد سعادة . والأطماع حبال المعاطب .
وإن كانت في ظاهرها الكفيلة بتحصيل المطالب . ومن
طلب السعادة والسلامة فليظهر نفسه من خبائث الشهوات .
وعيشه من خبائث الموارد . ويقدر ما يتزوف المرء تطمئن
بصبرته . وكما يردع غواياته يفتح قلبه وترتفع فضيلته
فيقترب من الله . الله لا يرزق خلقه على قدر كرامتهم عنده
أو سعيهم بما عندهم من حول وحيلة . ولا يحرمهم لهنوائهم
عليه أو عجزهم عن المعاش . فهو مضمون الأجنة في الأرحام .
ومقدور آجالها . وكافل أرزاقها . بفضل الشامل . فلا تضيع
مروتك بالأطماع الفارغة .

لا يعرف الله ولا يعبد من لا يقتنع بحظه ، فقل
لنطماع : « القناعة غنى ، أيها الفلق اسكن فالعشيب
لا ينسو على الصعيد الصخري المضطرب . إذا كنت انسانا
تحسن فلا ترفه جسديك ، والا أتلفت ذاتك . العقل يطلبون
الفضيلة ، ورفه جسده خاو من فضل . الاكل والنوم
دين الحيوانات ، واحتضانه دأب الحمقى . تسعد امرؤ
ذو وجه ينشغل خلال تأملاته ، فيعد نفسه للرحلة الأخيرة
عن طريق معرفة الله . ومن لا يميز بين النور والظلام
يستوى عنده وجه شيطان ووجه حورية . كيف يستطيع
الصقر أن يطير الى السماء وجناحه مرتبطان بخجارة
الاطماع . اهتم بالعبادة أكثر من الطعام تصر ملاكا . ابدأ
بمعرفة اخلاق الانسان ثم فتش عن خصائص الملائكة .
حسبك من الطعام ما يسد جوعتك ، فكيف يعب الخيرات
من لا يستطيع من ثمة أن يتنفس . من ملأ بطنه طعاما
خلا رأسه من الحكمة . والفريسة لشراعتها تقع في

قصة ملك خوارزم

في بكرة صباح زار طماع ملك خوارزم ، وسجد له
مرتين ، فسأله ابنه : « يا أبت ، أو لم تقل أن مكان الحج
مكة ؟ فلم تكرر السجود اليوم أمام الملك ؟ » . القناعة
ترفع الرأس . فإذا امتلا طمعا لم يرتفع أعلى من الكتفين .
ومن طوى بعض شحه استغنى عن أن يتلقى أحدا بقوله :

« أنا عبيدك وخادعك » . والسؤال كليل أن يطردك من كل
مجلس . قاتفه عن نفسك حتى لا تطرد .

الباب السابع - في التربية

معاني الباب

سعدى صوفي على انساني ، فالفضيلة مطلوبة الأول
وهي عنده انسانية بل كونية ، أو هي صلاح انساني كونى
لا قومي ولا وطنى ولا عرقى ولا معاشى ، والانسان أو
لا قائم في مملكة هي العالم كله ، والله صاحبها ومديرها
فهو أولا فرد في رعية الله عامة ، ثم هو فرد بين الناس في
أمة أو جماعة أو أسرة ، وقد يكون أباً أو ابناً أو زوجاً أو
صديقاً . . . وله في كل وجه من هذه الوجود حقوق وعليه
واجبات بحسب ذلك الوجه .

والتقوى قوام صلة المرء بربه وبخلقه ، فينبغى أن
تكون باعاًت كل نية وسعى . ومبدأ الفضيلة - قبل المعرفة
أيضاً - العفة ، أو كبح شهوات النفس والجسد بالرياضة
والمجاهدة حتى يملك الانسان أمره . وتتجل الحقائق
لبصيرته بالعلم والحكمة . وليس كالشهوات موجبا للضلال
عن الخير والحق . وينبغى للناس أن يتواصلوا على أساس
المعاني الجميلة التي يتوخاها كل منهم في نفسه وغيره ،
لا على أساس فتنة المظاهر أو المنافع العاجلة . ومن الواجب
إسداء الخير والعون لكل ذي روح .

كما ينبغي اجتناب كل قول أو عمل يقسم المودة بين الناس كالظلم والسرقة والمظاظة والغيبة والنميمة والحقد والحسد والطمع والترف والبغاء . وإن الرذائل الخفية شر من الظاهرة : كالغيبة فهي أقبح من السرقة ، وكافشاء السر فقد يثير فتنة . والتحام الأمة في حرب مع عدو أهون من انتشار الأراجيف وهرج العصاة . ومن أودع أحدا سرا فافشاه فهو أحق منه باللوم . وقولة السوء دون ضرورة - ولو بالحق - رذيلة . والغيبة شناعة حتى لمن هم مضرب المثل في السوء كاللجاج الذي هو مثل الظلم الشرود . وليس يتتبع عيوب غيره إلا معيب .

وينبغي للمرأة أن يتوخى في الزوجة عفتها وطاعتها وحسن تدبيرها ولين كلامها ورعايتها أمر بيتها . فكل ذلك كليل أن يطيب عشرتها ، أو يحبيها ، ويغري بالافتقار تقصيرها ، ولو لم تكن جميلة ، وعلى المرء أن يتقى برجله قبل الزواج ، وأن يتجنب حسان الغلمان ونساء غيره ، فأمله أطيب له ، وجمال المرأة أو جاهلها أو مالها بلا مع سوء خلقها وتطاولها . والسجن أحب من بيت تسوده الشحنة . ولتلتزم المرأة بيتها ، وتتجنب معاشرتة الغرباء . كما ينبغي تعهد الولد وحسن القوامة عليه منذ الصغر ، ليحفظ ماضي أبيه ، فيبر الولد مع تجنب تدليله . لأن تدليله مفسدة له . وليبعد عن صحبة الأشرار اتقاء عدواها ، ويمنع من الاختلاط بالنساء منذ العاشرة . وينتف بالمعرفة والحكمة ، ويعلم حرفة يرتزق منها في

معاشه ، ولو كان له من أبيه كنز قارون . فالكنز الموروث قد يضيع ، وكيس الحرفة دائما على . والولد القاسد خير أن يموت قدام أبيه . ومن ربي ابنه على الاعتماد على نفسه كفل حريه فلا يكون أسير أحد .

من مقدمة الباب

من يكبح عواشه عن الرذائل أعظم قوة لمن وسوسه وسام . وليس أحد من خشية عدوه كما تكون أنت عبدا لشهواتك . نزعات السوء في سريرتك كالدخ في عروفتك وإذا غلبت أهواؤك استلبت بسطاطتها عليك حكما وثورة . ولكنها تستسلم حين ترى قبضة العفل المدركة . لا يتجول أهل الريبة ليلا حيث الحراس ساهزون . والرئيس إن لم يتكلم بعدوه أضاع أمامه سلطانه . وكلية واحدة تغتر إذا كان الإنسان يعمل بها يقرأ أو يسمع

حديث في التهمة

لا تقل الشر في الخير ولا في الشرير ، فتخطي في حق الأول وتكتسب عدا ، الأخير . من يذم غيره فأنسبا يكشف عورات نفسه . وإذا ذممت أحدا فانت مذنب ولو كان ما تقول حقا .

عن حديث في الزوجة

الفقر ملك إذا كانت له زوجة مطيعة عفيفة . لا كابة مع متاعب النهار إذا وجدت في دارك من تمسحها

عنتك ليلا . اذا كانت المرأة طاهرة لبنة اللسان فلا يسأل :
اجميلة هي أم قبيحة . واذا كانت خيرة الطبع فهي ارضى
من الجميلة ، لان اللطف يستتر زحام العيوب . تجنب
الحورية الرديئة الطبع . حصرم نعم عليين من كانت له
امراة سيئة ، ولا تتخذ منها الا الله . السجن افضل من
بيت تسوده الشجاعة . والرجيل عن البيت سرور اذا كانت
قعيدته امراة زعناء . والسعادة محجوبة عن كل بيت يعلم
فيه صوت الزوجة صوت زوجها . واذا عرفت زوجتك
طريق السؤال فاكبحيها ، او كن قعيد بيتك كامرأة .
احجبها عمياء في محضر الغرباء ، واذا هي تركت بيتك
قال القبر . واتخذ زوجة جديدة كل ربيع فتقوم العام
الماضي لا يؤدي غرضا . ومشييك حافيا خير من سعيك في
حذاء ضيق .

الباب الثامن - في الشكر

معاني الباب

ينبغي ألا ينقطع المرء عن شكر الله جزاء نعمته
ومهما يشكره فهو عاجز أن يفقه ما هو أهله من شكره .
والشكر من أسباب دوام النعم . وخير وسائل اسعاد
خلقه بعمل صالح ولو كان هينا . فاهون العون عند
احتجاجة عظيم ، وخير البر أعجله . وليس يعرف قدر نعمة

من مقدمة الباب

لا أستطيع أن أفي بحق الشكر لذلك الصديق ،
ولا أعرف أولى منه بالشكر . كل شعرة في جسدي عبة
منه ، فكيف أشكره لكل شعرة ؟ الحمد لله الأجل الذي
خلق الوجود من العدم . انظر كيف فصلك من الطفولة
الى الشيخوخة في سمت قويم . لقد خلقك طاهرا فغش
طاهرا ، حتى لا تموت ملوثا بالذنوب . لا تدع التراب
قائما على الماء فيزداد الكدر حتى يستعصى على الجلاء .
يا عابد نفسك ، لم لا تقصد من يهب يديك القوة ؟ اذا
صنعت خيرا بنجدهك فلا تعبد نفسك ، واعلم أن ذلك
بنعمة الله . أنت لا تقوم بمحض قوتك . فالبدء الخفي
هو الذي يهبك كل لحظة .

من حديث بحال التبعين

أما يجهل قينة يوم الهناء من لا يرى الشقاء ، الشقاء
قاس على القبر ، والغنى لا يحذره . اذا كنت سريع القدم
فاشكر الله حين ترى العرج . ماذا يعرف من قينة الماء

سكان شيواطي، جيهون ؟ سئل عنه من احترقوا في وقعة الشمس . انما يصير قبة الصخرة من انهكت الحمى عافيته . كيف يطول الليل عليك وانت ناعم المضجع على سرورك ؟ فكر فيمن يتقلب بالحمى . فلا يعرف مثل الليل الا مريض .

قصة الحمار الحكيم

انقطعت الطريق في صحراء برجل فبكي قائلاً :
« من في هذه الصحراء شقي مني ؟ » فاجابه حماره :
« ايها الادمي البليد . لم يطول نواحك لجبروت القادر ؟
امض - ولو لم تجد حماراً يمتطيه - كي تقدم الشكر على
انك لست حماراً يمتطيه الناس . »

الباب التاسع - في التوبة

معاني الباب

مسرات الحياة وآلامها الى فناء . وكل من فيها كذلك ، والى الله مصير خلقه جميعاً . والمؤمن مستول عن عمله ، ولا مرد له بعد الموت الى الحياة لادراك قائم ، وهو ناقص وخطايا كثيرة . ولكن باب التوبة مفتوح دائماً . ورحمة الله تسع كل شيء . فليسرع مذهب الى التوبة النصوح . لان الغيب سر . والموت قد يفجأ قبل فرصة

جديدة ، وليخجل المؤمن من ذنوبه ويشتب عنها قبل التفتاح خروجه يوم الحساب . فافقه مطلع على الاسرار والكنه مستار . ولا يستهن امرؤ بذنب - ولو كان صغيراً - ان يردبه . او يمتعظم كبير ذنب فعفو الله اكبر من جميع الذنوب . والله يحب التوابين ويبدلهم المعونة للصلاح . وليس كدموع الدم مطهر للخطيئة . الشقي من نسي الله فانساه نفسه . وغرته وخاف الدنيا فاسرته في حياتها حتى خسر نفسه واشاع آخرته . واكرم الناس من استعد بصالح الأعمال والتوبة من الخطايا قبل رحيله الى الآخرة .

من مقدمة الباب

يا من آفنت سبعين عاماً من حياتك . ربما كنت غافلاً تلك الأيام التي ولت مع الرياح ! غرتك مطالب الدنيا فاء تتخذ الأهب للرحيل الى ذلك العالم . اذ يأتي اليك . وفي يوم الدين - حين تهب سوق الفردوس - سيميز كل امرئ مكانه على حسب اعماله . فاذا كنت ذا كنز عظيم من الصالحات كانت صالحاتك هي ثروتك في الحساب . واذا كنت مفلساً فهو خزينك . واذا كنت قد أضعت خمسين عاماً فاعتد سنواتك الباقية حبة فاخرة . واذا كنت لم تزل قادراً على الكلام فلا تغلق شفتيك كالملوث عن النهج بحمد الله .

الحياة طائر اسمه النفس ونحن نفسر الطائر من
القصص لا يعود الى الأسر . اعتبر ، فالعالم باق ولكن لمدة .
وان لحظة تنفق في حكمة خير من عمر في حماقة . لم اذن
نربط عقولنا بهذا الخان حيث تستريح القوافل ؟ أحببنا
مضوا ونحن لم نزل في الطريق . وبعدنا سنبقى الأزهار
يانعة في الحديقة . ويستمر الأصحاب في المجلس معا .
وحين تبلغ شبراز ألا تنطفئ نفسك من غبار الريق ؟
يا من تدنس بتراب العنينة ، ما أسرع ما ترحل الى مدينة
غريبة . ابك وتطهر بدموعك من خطاياك .

الباب العاشر - في المناجاة

معاني الباب

العبادة بجوهرها لا بشعائرها ، والمول فيها على
الاخلاص لا المعارضة . وكل عبادة فالله منتهاها ولو أقام
العابد لجيله أو غفلته وسيلة بينه وبين الله . والله صمد
سميع بصير ، والأفصال عنده بنياتنا ، وعلمه محيط
بخفايا الشرائع من وراء شكول الظواهر . وهو قريب الى
داعيه . يجيب دعوته . ويفقر زلته . ويكشف مجننه .
ويسيطر عليه حمايته . ويحقق رجاءه . ولا حامى غيره
ولا مجيب .

من مقدمة الباب

قم ترفع أيدينا في مناجاته . فانها غذا مستكون
عاجزة في التراب . لا تظن أن تضرعاتنا ترتد خائبة أمام
باب الرحمة المفتوح أبدا . يارب اسئلنا بحنانك . فالغروب
أوغلت بين عبادك . أيها المنعم . أنت بكرمك احتملتنا
وبعطايك ورحمة حبك أقمنا . واذا فضلنا على سسائر
خلقك فأملنا أن تؤتينا العظمة الثلاثة إمكاننا في العالم .
رب ، لا تصغرنى من أجل عظمتك ، ولا تخزنى بخطاياى .
ولا تسلط أحدا على ، فخرى أن أنال العقاب من يدك .
وحسبى الخزى في حضرتك فلا تخزنى أمام رفاقى .
اذا هبط ظل رحمتك على ، هان جلال السماء أمام عيني .
واذا وهبتنى تاجا رفعت رأسى فارفعنى حتى لا يزدرى
أحد .

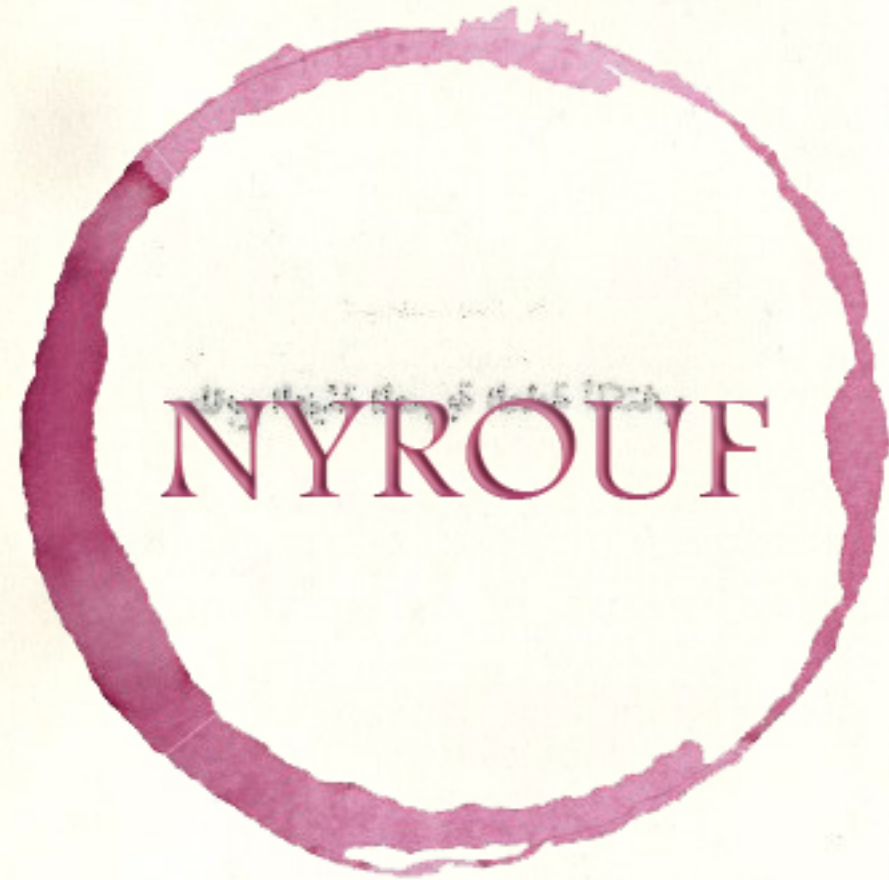
قصة وثنى

ولى أحد عباد النار وجهه عن العالم ، وربط حقويه
لخدمة صنم ، وبعد سنوات حلت به نكبة ، فبكى عند
قدمي الصنم ضارعا : « أيها الصنم ، انى بانس قاعنى ،
ومتعب فاروق بى ، واسنمر طويلا في ضراعتي الحزينة
بلا جدوى . كيف يستطيع الصنم انجاز رغبات انسان ،
وهو عاجز أن يدفع ذباية عن نفسه ؟ تحسر الوثنى
وقال له : « يا أنت قدماك مربوطتان الى الضلال ، وعن

الحق أن عبدتك سنين • انجز رغباتي وإلا طلبتها
 من الله • وبينما وجهه ملوث بالتراب عند الصنم أنجز
 المهتمين رغبتهم • وسمع هذا رجل ثقي ، فخرجل ، فسمع
 صوتا من عليين في أذن سره قائلا : « هذا العجوز صلي
 أمام الصنم فردت صلاته ، فإذا رد في مقام الله فما الفرق
 بين الصنم والله الحي القيوم ؟ »

الاحلام لا المأودة • وكل عبادة قال الله مستهزأة
 العابد لحيته أو شكله وسيلة بينه وبين الله • والله عبد
 لا يعبده غيره • والمعالاة هذه هي التي لا بد منها في العبادة
 لا بد من عبادة الله • وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله
 وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله • وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله
 وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله • وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله

الاحلام لا المأودة • وكل عبادة قال الله مستهزأة
 العابد لحيته أو شكله وسيلة بينه وبين الله • والله عبد
 لا يعبده غيره • والمعالاة هذه هي التي لا بد منها في العبادة
 لا بد من عبادة الله • وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله
 وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله • وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله
 وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله • وشيئا لولاه : لا بد من عبادة الله



NYROUF

3715/3 PPI

12814 - 927 - 01 - 3039